9me Année No. 411

Lundi - 19 - 5 - 1941

الرسالة

مجلة أسبوعية للأدب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مصر
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٤١١ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٢ ربيع الآخر سنة ١٣٦٠ — الموافق ١٩ مايو سنة ١٩٤١ » السنة التاسعة

الفهـــرس

صفحة
٦٦١ مسألة الفقر ... ... : الأستاذ عباس محمود العقاد
٦٦٤ برج بابل ! ! ... ... : الدكتور زكى مبارك ... ...
٦٦٧ مؤتمر ... ... : الأستاذ عبد العزيز محمد عيسى
٦٧٠ اللهجات العامية الحديثة ... : الدكتور على عبد الواحد وافى
٦٧٤ البيبون ... ... : الأديب مصطفى بيرم الطرابلسى
٦٧٧ ألقاب الشرف والتعظيم عند العرب ... ... : الأب أنستاس ماري الكرملى
٦٨٠ من مذكرات مطلقة ... : السيدة الفاضلة « ليلى » ...
٦٨٢ دمعة مكبوتة على فقيد عزيز : الأستاذ صالح على عيسى السودانى
٦٨٤ ليلة قمراء ... [قصيدة] : الأستاذ العوضى الوكيل ..
٦٨٥ مختارات من مراثى الشعراء فى المرحوم فؤاد بليبل [قصائد] : الأديب محمود السيد شعبان ، الأستاذ محمود غنيم ... ...
٦٨٥ إلى الأستاذ الكبير (ا . ع) : لأستاذ جليل ... ...
٦٨٥ عثمان زناتى ... ... : الدكتور زكى مبارك ... ...
٦٨٦ فى تأبين الأستاذ فؤاد بليبل : الأستاذ محمد محمد رضوان
٦٨٦ « ريم وجادى » ... ... : الأستاذ طه محمد الساكت ...
٦٨٧ مذهب الفرد ومذهب الجماعة : الأستاذ رشيد السقلانى ...
أصل الفقر ... ... : الأديب عزى الدورى ...
٦٨٨ الأرجى ... ... : الأستاذ حسن محمد مويس ...
روائد الأدب العراقى ... : الأديب محمود البطة ...
تصويب ... ... : ... ...
نداء الصخرة ... ... : الأستاذ ابراهيم أدهم ... ...

مسألة الفقـــر

للأستاذ عباس محمود العقاد

سألنى الأستاذ زكى مبارك عن رأيى فى الخلاف القائم على مسألة الفقر بينه وبين الأساتذة : توفيق الحكيم ، وسلامة موسى ، وفكرى أباظة ، وبعض حضرات القراء

وخلاصة هذا الخلاف أن الدكتور زكى مبارك يرجح أن الفقر عقوبة مستحقة على شىء من القصور ، وأن مخالفيه يرجحون أن الفقر غلطة اجتماعية تصيب الناس من خلل فى « المجتمع » أكثر من إصابتها أيام من تقصير فى الجهود .

وعندنا نحن أن الفقر داء كسائر الأدواء : يصيب المريض به من إهماله كما يصيبه من ضعفه الموروث ، ويصيبه مع الحيطة إذا جرى مجرى الوباء الذى تنتشر عدواه ، كما يصيبه مع ترك الحيطة فى هذه الحال وفى غيرها من الأحوال

وليس فى وسع أحد أن يزعم أن ميزان المجتمع سليم من الخلل فى توزيع الأرزاق أو تقدير المكافآت على حسب الجهود . ففى كل أمة أغنياء لا يستحقون الغنى وفقراء لا يستحقون الفقر وإن تفاوت الخلل وتفاوت الجور وتفاوت السعى فى الإصلاح .

ولست أنا ممن ينكرون فضل البراعة المالية ، لأنها فى الحقيقة براعة لازمة لتأسيس المرافق الاجتماعية والأخلاق القومية وتنظيم

العلاقات ، واستثارة الهمم ، وتوزيع الأعمال التي لا يستبحر بغيرها عمران

وقد قلت منذ نحو عشرين سنة حين عرضت للبحث فيما يعاب من أخلاق المرأة خطأ وجهلاً بالبواعث النفسية :

« ... إننا قد نرى للمرأة سبباً غير سائر الأسباب التي تغري بحب المال وإعظام أصحابه : نرى أن كسب المال كان ولا يزال أسهل مسبار لاختبار قوة الرجل وحيلته ، وأدعى الظواهر إلى اجتذاب القلوب والأنظار ، واجتلاب الإعجاب والإكبار . فقد كان أغنى الرجال في القرون الأولى أقدرهم على الاستلاب وأجرأهم على الغارات وأحماهم أنفاً وأعزهم جاراً ، فكان الغنى قرين الشجاعة والقوة والحمية ، وعنواناً على شمائل الرجولة المحببة إلى النساء أو التي يجب أن تكون محببة إليهن . ثم تقدم الزمان فصار أغنى الرجال أصبرهم على احتمال المشاق وتجشم الأخطار والتمرس بأهوال السفر وطول الاغتراب ، وأقدرهم على ضبط النفس وحسن التدبير . فكان الغنى في هذا العصر قرين الشجاعة أيضاً وقوة الإرادة وعلو الهمة وصعوبة المراس . ثم تقدم الزمان فصار أغنى الرجال أبعدهم نظراً وأوسعهم حيلة وأكيسهم خلقاً وأصلبهم على المثابرة وأجلدهم على مباشرة الحياة ومعاملة الناس ، فكان الغنى في هذا العصر : قرين الثبات والنشاط ومتانة الخلق وجودة النظر في الأمور ؛ وهكذا نجد اكتساب المال الكثير في كل عصر دليلاً على فضل الرجل ، وعلاقة توحي إلى نفس المرأة مايعين غريزتها على اختيار أجدر الرجال بحبها وأصلح الآباء لأبنائها. فلا تثريب عليها أن تختبر مزايا الرجل بهذا المسبار السهل القريب ، ولا لوم عليها أن تريد ثراء المال ولا تعدل به الفقر والفاقة ... »

فنحن لا نبخس البراعة المالية حقها ولا ننقص من نفعها في باب الخدمة الاجتماعية ، ولا من دلالتها على الخلق والكفاءة العقلية ، ولكننا مطالبون في هذا العصر الحديث بإنقاذ المجتمع من الخلل الشديد الذي ألم بموازين الاقتصاد ومعايير الأرزاق حتى أصبح اقتناء الثروات ميسراً للمحتال والدجال الذي لا يعطي الناس بديلاً نافعاً يساوي الربح الغزير الذي يتدفق عليه . ولعلنا نتلطف في الأمر حين نقول إنه لا يعطي الناس بديلاً نافعاً وهو في الواقع يضرهم بمقدار ما يستفيد منهم ، ويحرمهم بمقدار ما يفقدون الرزق عليه طائعين أو كارهين

ومثل من هذه الأمثال أولئك السماسرة الآثمون الذين يتواطأون على إشاعة الأراجيف ، وإقلاق الأسواق ، واللعب بأثمان الأسناد والأوراق ليسرقوا في ساعات ما تنقضي الأعمار دون الوصول إليه بالسعي الحلال أو بالسرقة على طريقة اللصوص الأقدمين

ومثل آخر من هذه الأمثال تلك الصفقات التي تنعقد في الهواء بغير مبادلة صحيحة في البيع والشراء ، وإنما هي استغلال لثقة الناس التي كسبها أولئك المستغلون بحكم مراكزهم الاجتماعية أو المالية لا بحكم الكفاءة والجهد وتثمير المال الحلال

وإذا ارتفعنا شيئاً فشيئاً عن هذه الهوة الغائرة في قرارة الإجرام فقد نصل إلى الكفاءات القيمة التي تُعطى الناس ما ينفعهم ويسرهم ، ولكنها تتقاضاهم جزاء لهم أضعاف حقهم وأضعاف ما يحتاجون إليه لموالاة النفع والسرور

فإخراج رواية على اللوحة البيضاء عمل قد ينفع العقول ويدخل السرور على القلوب ، ولكن الدنيا تسرف جد الإسراف حين تشتري نفع الرواية وسرورها بمئات الألوف من الجنيهات وهي تضن بمشر معشار هذا على المآثر الإنسانية التي يتصل بها نفع أقوام وسرور أجيال

وأقبح من هذا أن تكون الألوف المؤلفة نصيب الرواية الماجنة العقيمة ولا تحظى ببعض هذا النصيب أجود الروايات وأحفلها بالمعارف والمتع واللمحات ، أو يكون الجزاء الوافر حظ الممثل الذي لا يستحي أن يعرض رجولته للفضوليات من المتفرجات ، ولا يكتب هذا الحظ لنوابغ الفن وأفذاذ الرجال

هناك خلل في الميزات لا نكران له ولا مناص من إصلاحه ، لأن الغنى فيه غبن الأمم ، والبلاء فيه بلاء الهمم ؛ وليس غبن فقير يشكو الفاقة ، أو بلاء ضعيف يطلب الرحمة والإنصاف.

ولا نطمع أن يجيء اليوم الذي يتساوى فيه العمل والجزاء كل المساواة ، ويبطل فيه الخلل بطلاناً يمنع الحيف ويحقق العدل في كل تقدير ؛ فهذا مستحيل ، ولعله غير محمود في عقباه ، لأن الدوافع الحيوية إذا استقامت هذه الاستقامة خيف عليها أن تفقد الاندفاع الصالح والاندفاع القديم على السواء

لكننا إذا استبعدنا الكمال المطلق فالنقص المطبق أولى منه بالإبعاد ، وبين المثل الأعلى والمثل الأدنى خطوات لا تعيا بها قدرة الإنسان ولا يجمل به أن يقعد عنها مكتوف اليدين مقيد الرجلين ،

وحاجة مصر إلى الجهد فى هذا الباب أعظم من حاجة بلاد كثيرات يعلو فيها صراخ لا يسمع له صدى فى هذه البلاد

وقوام الإصلاح فى مسألة الفقر على ما نرى أن نذكر الحقائق كلها ولا نكتفى بجانب واحد منها دون سائر جوانبها

أو الخير فى هذه المسألة أن نقرن كل حقيقة جامحة بحقيقة كابحة تساويها وتكف من غربها

فأول الحقائق فى مسألة الفقر أن حياة الإنسان كائناً ما كان أنفس من القوت والكساء ومطالب المعيشة ، وأنه ما من مخلوق آدمى يعجز عن تقديم خدمة تكافئ ثمن قوته وكسائه ومطالب عيشه . فإذا هلك إنسان جوعاً أو عرياً ففى تقسيم الأعمال نقص يستدركه المصلحون والمتكفلون بسياسة الاجتماع

وبإزاء هذه الحقيقة الظاهرة حقيقة أخرى لا تقل عنها ظهوراً وجدارة بطول العناية والتدبر ، وهى أن الأمان كل الأمان، خطر على الهمم والأذهان . فإن كثيراً من الجهد النافع مبعثه طلب الأمان فى المستقبل، وشعور النفس بالحاجة إليه فى أخريات الحياة . فإذا اطمأن إليه كل حى من بداية حياته فترت حركته وغلب عليه حب الاستقرار ، وعُنِىَ العالم بخطر من جراء ذلك هو أخطر عليه من الإجحاف فى تقسيم بعض الأعمال وتوزيع بعض الأرزاق

وهناك حقيقة لا مراء فيها وهى أن المناضلين المقتحمين ينالون أحياناً فوق ما يستحقون من جزاء ، ويأخذون أحياناً بعض ما يستحقه المحرومون الذين لا وزر عليهم فى هذا الحرمان

أما الحقيقة التى يزانها فهى أن المناضلين المقتحمين ينكبون أحياناً فى الأرواح فضلاً عن نكبتهم فى الأرزاق والأموال ، وأنهم لا ينطلقون مع طبائعهم القوية فى عالم تشتد قيوده وتتساوى نتائجه ولا تتسع فيه الهوة بين الأمل العظيم فى نجاح كبير وبين الإقدام العظيم على خيبة فاضحة للظهور ، وأن خسارة العنصر المغامر فى أحداث الدنيا وتواريخها لتضارع خسارة العنصر السالم الوديع

وهناك حقيقة من هذه الحقائق خواها أن الغنى ليس بجريمة، وأن الفقر ليس بفضيلة ، فلن يقول أحد به مسكة عقل أن الأغنياء يستحقون الفقر لأنهم أغنياء ، وأن الفقراء يستحقون الغنى لأنهم فقراء ، وإن جاز أن يقال إن الإفراط فى الغنى والإفراط فى الفقر ظلمان محققان

أما الحقيقة التى يزانها فهى أن الأمر لا يرجع هنا إلى العدل والاستحقاق ، ولكنه يرجع إلى صلاح المجتمع ولو نال فيه فريق فوق ما يكافئ عمله وجدواه . فكل عضو شاك يكلف الجسم بعض الأحيان فوق حقه وفوق نصيبه من العمل والجدوى؛ وبغير هذا العلاج لا تستقيم صحة الأجسام

وصحيح أن العالم مدين للعصاميين، وأن العصاميين لم يولدوا فى الذروة العليا من طبقات الأمة ، ولكن ليس بصحيح أن طبقة الحضيض هى صاحبة الحصة الكبرى فى إنجاب العصاميين؛ وإنما الصحيح أنهم ينشأون وسطاً بين الطبقة التى نهكتها رذائل الترف والغرور ، والطبقة التى نهكتها رذائل الهوان والمسكنة . ومعظم المصلحين الذين نفعوا الفقراء لم يكونوا من ضحايا الفقر المدقع والمنبت المنحدر البالغ فى الانحدار ، مما يؤيد رأى القائلين إن الفقر المدقع الذى يلازم أصحابه عقباً بعد عقب إنما هو قصور فى الذهن والخلق يحالهم حيث يحل القاصرون المتخلفون أيا كان المجتمع الذى يعيشون فيه

وبعد هذه الحقائق جميعها تبقى لنا حقيقة لا يطول فيها جدل المنصفين ، وهى أن الفقر آفة يجب أن تزول إذا استطعنا أن نزيلها ، ويجب ألا يمنعنا عن إزالتها إلا مانع واحد لا نحفل بغيره : وهو عدم الاستطاعة ، ولو كان الفقراء مستحقين لما هم فيه . فلن يبحث منصف عن المريض هل جلب المرض لنفسه بيديه ، أو سيق إلى المرض مكرهاً عليه ، إذا كانت المسألة مسألة طب وشفاء مستطاع

عباس محمود العقاد